عوائقُ الطلبِ العلمي
وموانع النبوغ القيمي

د. حمزة بن فايع الفتحي

الباكورةُ

الحمدُ للَّهِ ذلّـل سبلَ العلم ، وبسطَ منافذَ الفهم ، وجعل أهلَه منائر للناسِ ، وبصائر للقبس والالتـماس، وفضلهم على كثير من الأممِ والأشماس ، والصلاةُ والسلام على رسول الأمة والعلومِ ، ونبيّ الرحمَةِ والفهوم، صلى اللّه عليه وعلى آلهِ وصحبه السادة النجومِ وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فمع اتساعِ العلومِ وازدهارها ، وكثرةِ المصادر ونموها، غيرَ أنّ عوائقها متناثرة ، ومكدراتها متكاثرة، ويحدث للناس بقدر

ما يحدثون من الأخطاء والتعاسات ...!

ولا تزال تتردد معضلةُ العوائق في الطلب، وأن ثمة شغولاً صارفة ، أو قضايا عازفة ، تحمل جماهير الطلاب على الانقطاع والتعثر، أو الانشغال والتكدر ، فينبغي للطرح العلمي، والهمّ التربوي التفرغُ لعلاجها، وتقديمُ الترياق لتجاوزها ، فكم اغترّ لها أشخاص ، وتراجعت بسببها هممٌ، وفترت عزائمُ ، حتى تقلص الحضورُ العلمي، واختفت العبقرية العلمية ، وتلاشت تلك الجلادةُ العلمية، التي كنا نطالعها في كتب السلف،

ونلمسها في تراجم الأفذاذ..!

وعوائقُ العلمِ الوسيع تبخترت

في دارِنا والشغْلُ والضعفاءُ..!

وفي عصورنا المتأخرة أفذاذٌ ولو هانت، وعباقرةٌ ولو تكدرت ، ولكن ينقصها الموجِّه، وصاحب المنارة المضيئة الذي ينتشلهم في طريقه، وتلكمُ الهمة التي تدمَى لضياع الشباب، وتذبذبِ العقول ...!

وشبابنا بحمد الله فيهم الهمة، ويمتلكون القدرة، ولكن تفجأهم التقنيةُ، فتشغلهم عن رسالتهم وهدف وجودهم، فاحتاجوا ليقظةِ معلم، أو عزيمةِ مربٍ،

لا يرضى بغيابهم عن مسرحِ الحياة ، وميادين التأثير ...!

والراغبونَ بتاج العلم إنْ سلِموا	من العوائق لا نقصٌ ولا حزنُ
هي الحياة بلاءاتٌ ومَفرحةٌ	والصابرون لَكَم فازوا وما وَهنوا...!

فإذا وُضعت لهم الخطة ، وصُحِّحت المسيرة والصورة، انطلقوا على بركة اللّٰه.

يتداعون إلى فضله، ويتهمّمون بشرفه، والطريق إلى جمعه...!

وغيرهم يبدؤون في الاستعداد الأولي، ولكنهم يتجاهلون عوائق وسدودا، تحول دون المواصلة والتمكن ، وهي التي تعيقُ المسلم والمسلمة قبل الشروع فيه أو في

أثنائه ، ولذا يبدأ أقوام ثم ينقطعون، ويشتد فئام، ثم سرعان ما يُبتلى بعضهم، أو يشغل، ولَم يدقق مساره، أو ينقّي طريقه.....!

ومن ثمّ تعيّنَ وجودُ الداعية المعلم ، والتربوي المنير ، الذي يأخذ بأيديهم ويحميهم الزلل، ويكفيهم العثرة، ويقول: مِنْ ها هنا، وها هنا..!

فكم من ذوي همم تورطوا في مطولات ، أو تحفظوا متوناً ليست في بلدانهم ، أو لم يفقهوا ميولهم ، فاستحسروا في الطريق، وقلَّ الزاد ، ونفدت البصيرة، وكانوا بلا

مربين واعين، أو شيوخ قريبين...!

ففقدناهم فقدَ السماحِ، وبيعوا بثمنٍ بخس دراهم معدودة، وانتهوا شذرَ مذر...!

وكم هومؤلمٌ اختفاءُ طاقاتٍ شوهدت، وتبدد عبقريات عُرفت، وانتهاء قامات لوحظت، بسبب ما ذكر من غياب التوجيه، وتركهم سبهللاً في بحار العلم المتلاطمة، وقد قالوا : (العلمُ بحر لا ساحل له).

وأنشد بعضهم :

ما حوى العلمَ جميعًا أحدٌ

لا، ولو مارسه ألفَ سنهْ

إنما العلمُ كبحرٍ زاخرٍ

فاتخذ من كل شيءٍ أحسنَهْ!

ومفردةُ (أحسنه) إنما يفقهها القادةُ والمربون، والدعاة الواعون، فالطالبُ يبتدئ بعقلٍ قاصر، وهمةٍ متقلبة، وبصيرة محدودة ، إذا لم يجد من ينبهه ويرشده ، ضلَّ وتعب واستحسر ، فكان لابد من احتواء الطلاب من البدايات وتيسيرهم للمحاضن والدروس ، لا سيما أبناء حلق القرآن جمعياته الممتدة في بلادنا المباركة ، فتحفل بهم مؤسساتٌ وجهود ترعاهم، وتقوم على نمائهم العلمي وزكائهم التربوي .

ومن هنا جاءت هذه الرسالةُ المتواضعة لتعالجَ شيئًا من العوائق التي تنتابُ طلاب العلم، لا سيما أزمنة الفترة والركود التربوي ..! فقد لاحظ القلمُ كثرتها ، وبصرت العينُ غبارها ، فلم يكن ثمة بدٌّ من الكتابة فيها، وصب شيءٍ من الدواء لها، والترياق الذي يبددها، فكان ما نشاهده هنا من عوائق لتلافيها، ومعالجات لاستعمالها ، وتنبيهات لتوقيها ، واللهُ الموفق والهادي إلى سواء السبيل ..

جدة ، بوابة الحرمين الشريفين

٢٣/٣/١٤٤٠هـ

١- **النيةُ المغلوطة:** التي لم يُصحح مقصدُها، ولَم يُصفَّ سبيلها، والتي فسدت، وساء طريقها، بسبب الرياء أو طلب المنصب أو الشهرة والتطاول على الناس، ومثل هذا المقصد يُفسدُ المسار، ويذهب البركة، ولو تخطاه صاحبه حيناً، شُغل عنه بالدنيا، ولربما باع دينه بعرَض من الدنيا يسير....! قال تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ (سورة هود : ١٦-١٥) .

ولذلك وجبَ على الطلاب المعالجة، واستعمال المجاهدة، كما هو ديدن السلف والصلحاء عبر التاريخ قال سفيان الثوري رحمه الله (ما عالجتُ شيئا أشَّد علي من نيتي)، ومع التحصيل الأولي والبروز تتعاظم النفس، ويداخلها العجب، ويظن الطالب أن له فضلا على أقرانه، فيتيه في ذلك حتى ينتهي لحالة سيئة من التعلق وحب الاشتهار ، فوجب الحيطة وتعميق المجاهدة والإخلاص ، لأن الرياء محبط للأعمال، ومذهب لجمالها ، ومانع للقبول

...ومن روائع ابن القيم رحمه الله قوله:

(ويلبس المرائي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به؛ فالمخلصُ له المهابةُ والمحبة، وللآخر المقت والبغضاء).

٢- استحلاءُ الراحة : وهي فتنة بحد ذاتها، وشاعت في عصرنا المخضوب بالنعم، وتسهيلات العلومِ ...! والعلم وقد اختلطت حلاوته بمرارته، يحتاج إلى جد وجلَد، وبذل وتعب، وتخفّف عزيز من الراحة والتبسط المبالغ فيه. قال العلامة ابن القيم رحمه الله : (المصالح والخيرات

واللذات والكمالات، كلها لا تُنالُ إلا بحظ من المشقة ، ولا يعبرُ إليها إلا على جسر من التعب، وقد أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يُـدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة..).

وفي العلم راحـة وارتـيـاح، ولكنها لا تُنال إلا بعد مقدمة نكِدة، وتمهيدٍ عسِر، وممارسةٍ صابرة، يعاين الطالب بعدها متعة الحدائق، وياسمين الجنات...!

وكما قال أبو إسحاق الالبيري رحمه الله:

فَلَو قد ذقتَ من حلواه طعماً

لآثرت التعلمَ واجتهدتا

ولم يُشغلك عنه هوىً مطاعٌ

ولا دنيا بزخرفها فُتِنتا

فقوتُ الروح أرواحُ المعاني

وليس بما طعمت ولا شربتا...!

وقال يحي بن أبي كثير رحمه الله: (لا يُستطاع العلمُ براحة الجسد). خرجه مسلم في صحيحه.

ودواءُ ذلك المرتاح، أن يتأمل فداحةَ ما ضاع منه من أوقات، وما ندَّ من محاسن، وما آلت إليه روحه وهمته....!

٣- تبديدُ الوقت: لأنه الحياةُ وظرفُ العمل والإنجاز، ومسؤولون عنه في القيامة، وكل تقصير فيه مردوده

على صاحبه، فلا سعادة ولا إبـداع، ولا سباق أو تنافس، لا سيما وقد تزخرفت حياتنا بمناعم ومكاسب لم تستثمر كما ينبغي، قال تعالى:(ثم لتُسألن يومئذ عن النعيم) سورة التكاثر . وفي الحديث الصحيح: « لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربعٍ : عن عُمرِهِ فيمَ أفناهُ؟ وعن علمِهِ ماذا عمِلَ بهِ ؟ وعن مالِهِ مِن أينَ اكتسبَهُ ، وفيمَ أنفقَهُ ؟ وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ ؟».

وإذا رأيـتَ الطالب مضيعا للوقت، مبذرا للزمان، زاهدا في الساعات، فاعلم

أنه تناقص عن الرتب، وفاتته الفرص، وتجاوزته المغانم...! واشتهر قول الحكماء (من علامة المقت تضييع الوقت).

٤- جلساءُ الترويح : إذ الصديقُ رحيق، والرفيق معين، والجليس أنيس، فإذا آنس بالعلم، وصادقَ بالعلم عظمت الفائدة، ونزلت البركة، وطابت الصحبة . وضرب لهم صلى الله عليه وسلم مثلا رائعا (كحامل المسك ونافخ الكير...). فتخير من الأصدقاء أعلمَهم وأطيبهم وأنبلهم، قال ميمون بن مهران رحمه الله: (العلماء هم ضالّتي في كل بلد، وهم بُغيتي إذا لم

أجدهم ، وجدت صلاحَ قلبي في مجالسة العلماء).

٥- الرفاهيةُ الزائدة: المعتمدة على التوسع في المعاش، فمتاع وملابس وموائد بلا اعتدال وتوقف ، والانقطاع لها ولإصلاحها، وهو مما يتنافى مع تقدير العلم والمسابقة إليه قال تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) سورة الأعراف . وصح حديث: (نهانا رسول الله عن كثير من الإرفاه).ومما ابتلي به بعض الشباب المتدين تبديل السيارة والجوال من حين إلى آخر ، وليس للحاجة ولكن للرفاهية

والتنافس أحيانا ، ويا ليتهم يفقهون سوءَ عاقبة ذلك على طلب العلم، وأن التنعمَ الزائد إفلاسٌ قاشع ، وإذهاب بائد، لا يبقي لوقارِ العلم جوهراً في قلب صاحبه..!!

٦ - تراجعُ الهمة والطموح: فلا تتطلع همته إلا إلى سفاسف الأمور، وينسى المعالي والأمجاد، وقد قال تعالى: (خذوا ما آتيناكم بقوة) سورة البقرة والأعراف . وقال عمر رضي الله عنه (لا تَصغُرنّ همتُك، فإني لم أر أقعدَ بالرجل من سقوط همته). وغايةُ طموحه أهداف

دنيوية، ومقاصد تلذذية، لا ترتقي لمقاصد العقلاء الجادين . والدائبين فيها طلبًا واستمرارًا ، قال المتنبي:

إذا غامرتَ في شرفٍ مرومٍ

فلا تقنع لما دون النجومِ..!

ومن جيد شعره الفائق:

لَحا اللّٰهُ ذي الدُنيا مُناخًا لِراكِبٍ

فَكُلُّ بَعيدِ الهَمّ فيها مُعَذَّبُ..!

وتسقط الهممُ بالجليس، ولوكِ الخسيس، والتفاني في الرخيص والبئيس...!! ومن سفاهة بعضنا تفضيله صحنَ ملاذٍ على درس علمي فاخر، أو ملاقاة شيخ علمٍ بارز ...!

والسببُ تراجع همته الدينية، وعلوها دنيويًا ، بحيث يؤثر المشاهي على فتح الباري، والنزهة على العمدة، والسياحة على حدائق الفصاحة ...!

وكأن لم يسمع بهمم أولئك القومِ وتفانيهم في حب العلم وجمعه، وتصديره على الملاذ والمطاعم ، يقول بعضهم : تُنسبُ لجار الله الزمخشري أو غيره :

سَهَري لِتَنقيحِ العُلومِ أَلَذُّ لي
مِن وَصلِ غانِيَةٍ وَطيبِ عِناقِ
وَصَريرُ أَقلامي عَلى صَفَحاتِها
أَحلى مِنَ الدَوكاءِ وَالعُشّاقِ

وَألَذُّ مِن نَقرِ الفَتاةِ لِدَفِّها

نَقري لأُلقي الرَملَ عَن أَوراقي

وَتَمايُلي طَرَباً لِحَلِّ عَويصَةٍ

في الدَرسِ أَشهى مِن مُدامَةِ ساقِ

أأبيتُ سَهرانَ الدُجى وَتَبيتُهُ

نَوماً وَتَبغي بَعدَ ذاكَ لِحاقي..!

٧- **التشاغلُ بالتفاهات:** من أحاديث الناس وثقافاتهم العديمة والغير منتجة ، كالتوسع في موديلات الجوال والسيارات وأنواع الملابس والموائد، والاستغراق إلى ذاك ،بدرجة لا تنتمي للعلم وحبه وإيثاره ...! ومن ثمراتها: قسوة القلب، وضياع

الـوقـت، وصغر العقل ، وتفضيلها على معالي الأمور، وفي الحديث الصحيح: (إنَّ اللّٰه تعالى يُحِبُّ مَعاليَ الأُمورِ ، وأَشرافَها ، ويَكرَهُ سَفْسافَها) أي رديئها وحقيرها..!

٨- **الخجَلُ الاجتماعي :** القائمُ على تتبع نقد الناس والتحسس منه ، وعدم الظهور أمامهم بالكتب وحضور الدروس والسبق للمساجد، فقد يخجل ويتراجع عن التنافس العلمي والإيماني بسبب تعليقات الناس..! قال مجاهد رحمه اللّٰه: (إثنان لا يتعلمان، المستحي والمتكبر).

وكـذاك طـول العـمـر والحـضـور مع

الصغار خشية السخرية والتهكم، ولكن العلم أعلى من ذلك، وأغلى لأن يُتحملَ البلاء من أجله..! وحُكيَ أن بَعضَ الْحكَمَاءِ رأى شيخا كَبيرًا يُحِبُّ النظر فِي الْعِلْم ويستحي فقال لَهُ : يَا هَذَا أتستحي أَنْ تَكُونَ فِي آخِرِ عمرِك أفضل مِما كُنْت فِي أوله..! وتفقه الصحابة الكرام وهم كبار غير مبالين بنقد أو سخرية أو تسفيه...!

٩/ القراءاتُ الموهمة: كالإفراط في علوم غير جيدة كبعض دورات التنمية البشرية، والفكر الإخباري والفني والروايات الساقطة، مع عزوف عن العلوم

الجـادة والـشـرعيـة المتينـة ومـا يسهم في البناء الذاتي والبناء الحضاري...؛ فخيرُعلمٍ يُرتجى العلم الشرعي الدائر مع الوحي، وما زاد من علوم الدنيا المفيدة للمرء وأمتـه، قـال العلامة ابـن سيرين رحمه اللّٰه : (لا تزال على الطريق، ما زلت تطلبُ الأثر).

وفي الـصحيح قـال عـليـه الـصلاةُ والسلام:(من يُرد اللّٰه به خيرًا يفقهه في الدين).

وقال الذهبي رحمه اللّٰه :

العِلْمُ قال اللّٰه قال رَسُولُـه قال:

الصَّحابَةُ هم أُولُو العِرْفانِ

ما العلمُ نَصْبُكَ للخِلافِ سفاهةً

بين الرَّسولِ وبينَ رأيِ فُلانِ!

١٠- تأخيره في الاهتمامات : بحيث تقدم عليه البرامج اليومية، والروتين المتعارف،وربما السوق والتسوق،والرحلات وجلسات الديوانيات والمأدبات، والسياحة الواسعة والتي لا ضابط فيها ولا رادع...!!

إذ يجب أن يكون أولى الأوليات وأشد الاهتمامات لقوله تعالى:(فاعلم أنه لا إله إلا هو) سورة محمد، ومن أخر العلم في برامجه، تأخرت به مراكبه ومعالمه..!

وكان العلامة ابن حزم رحمه الله ينشد:

من لم يرِ العلم أغلا

من كل شيء يصابُ

فليس يُفلحُ حتى

يُحثى عليه الترابُ..!

وقال العلامةُ ابن القيم رحمه الله في الفوائد :» فأعلى الهمم في طلب العلم طلبُ علم الكتاب والسنة والفهم عن الله ورسوله نفسَ المراد وعلم حدود المنزل. وأخس همم طلاب العلم قصر همته على تتبع شواذ المسائل وما لم ينزل ولا هو واقع أو كانت همته معرفة الاختلاف

وتتبع أقـوال الناس وليس له همة إلى معرفة الصحيح من تلك الأقـوال وقل أن ينتفع واحد من هؤلاء بعلمه».

١١- قـصْره على التعليم النظامي:

فيعتقدُ بعض السذج أن الجامعات موئل العلم وحدها، ولا يتطلب جهدا أكبر من ذلـك، وبانتهائها ينتهي الجـد، ويُشغل المرء، وتُهجر الكتب، وتُباع المكتبات، ويلتف على الأحبـة والأصـدقـاء...! ويكتفي الطالب بمفاهيم عامة، ومعارفَ في العلم والـدعـوة...! وبعدها يهتم بالتوظيف ولقمة العيش، ومشاريع الـزواج والسكن

وإطابة العيش...! وقد قال الحكماء: إن الجامعات مفاتيح ، ولا تخرج علماء ..في جميع التخصصات، سواء شرعيا أو دنيويا ، مما تحتاجه أمتنا من طب ورياضيات وهندسة وتصنيع وابتكارات مفيدة...!

وفي هذا السياق الكفائي ، يقول ابنُ المبارك رحمه الله: (لا يزالُ الرجل عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل).

١٢- **الانهماكُ التقني:** فقد غزت العقول والأقطار، وفُتن بعضُهم بحبها،

ومتابعة الماجَرَيات والوقائع اليومية، واعتقادُ أنها كافيةٌ للعلم والاستفادة، وهجر الحفظ النصوصي، والإصغاء التأملي المساعد على إدراك علوم الشريعة. والقراءة التقنية أشبه ما تكون بالنظَرات السريعات، واللمحات الخاطفات، المشوبة بمَجَريات وتعليقات، تشتتُ الذهنَ، وتصرفُ الفؤاد، والتي لا تصنع طالبا، ولا تبني متقنا حافظا...! إذ كيف يحصلُ التركيز، ويكتمل الإتقان فيما دون (الفتح والمغني)، وأنت تتقلب في جنبات الثقافة العالمية ورسائل الواتسات

المختلفة...؟!! خصوصا مع تطورات الجوال وترنماتها، وسرقتها للعيون والأفئدة...!

والخلاصة: انتفع بالتقنية، ولكنها لا تكفي عن الكتاب وذخائره، وتعليقاته ومسوداته وورقاته، وحالة السكون المودعة فيه...! والتضخم الثقافي فيها مشتت للأذهان ما لم يُضبط وينظم ، والله الموفق.

١٣- التململُ القرائي : بحيث يبدأ في كتاب ولا يتمه، وينتقل لآخر، أو يغادر لعلم جديد، فيغشاه التقطع، وينتابه

التردُد من حين لآخر...! فلا هو تعلم، أو استغرقَ وقته، أو حقق إنجـازاً...! بل في متاهة بعيدة، تنتهي به إلى الإفلاس...! ولربما ابتُلي برهقٍ نفسي، أوفتورجسدي، جعله يكلُّ ويمل، والواجبُ حينئذ التنويع والتغيير، والترفق والـترفع، وتجديد النشاط بممارسات اجتماعية وثقافية لاتخل بالمسار، فتُخفف القراءة العميقة مثلا، بقراءة كتب المُلَح والنوادر والشعر والحـكـمـة....! قـال الإمـام أبـو حنيفة رحمه الله:(قصصُ الرجال أحبُّ إليّ من كثير من الفقه). وفي القرآن الكريم (لقد

كان في قصصهم عبرة ..)سورة يوسف . وفي اللحظات الفتورية، نحتاج العبر واللطائف، لا المسائل العواصف...!

وكتبُ علو الهمةِ خيرُ مسعفٍ أيامَ الفتور الطلبي، وأحسنها (الصفحات) لأبي غدة غفر الله له، يدمنه صاحبه اذا مازجه الفتور، فيوقظ عقله، ويشحذ همته ..!

١٤- الطرحُ التثبيطي: والناشئ من جلسة باردة، أو ديوانية فارغة، لا تقيم للعلوم وزنا، ولا ترفع بالفقه رأساً...!فيسمع المُجدُّ كلامَ مثبط،

ويصغي الراغبُ لنصح محطّم، ويهتمُ الباحث لمعلومات دنيوي منغمس ،...! همه المالُ والجاه والتنافس ،،،! وتجاهل أن العلم الشرعي أجلُّ جاه وأحسنه وأزينه (يرفعِ اللّه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) سورة المجادلة . وقد أحسن القائل : إنّ الملوك ليحكمونَ على الورى/ وعلى الملوك لتحكمُ العلماءُ..!

كقول بعضهم : العلمُ في الكتب ، وانتهت الحكاية ..! ليثبط الناس..!!

ويجابُ عليهم بقول ابن الوردي:

لا تقلْ قد ذهبت أربابُه

كل من سارَ على الدرب وصلْ..!

١٥/ التمني والتسويف: محبٌ له ويهواه، ولكنه يؤجل ويسوفُ كثيرا، وتسويفه يبددُ عليه الفرص، ويضيع المواهب، وينشغل من جرائه بالدنيا والمجالس والخلان..! وديننا دين المسارعة والمبادرة ، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ «آل عمران: ١٣٣».

وقد عقَد الخطيب البغدادي رحمه الله بابًا في كتابه «اقتضاء العلمِ العملَ» بعنوان: « باب ذم التسويف «وقد جاء فيه:

قِيلَ لرجلٍ من عبدالقيس: أَوْصِ، فقال: احذروا (سوف).

وعن الحسن رحمه الله : (إيَّاك والتسويف؛ فإنَّك بيومك ولست بغَدِك، فإنْ يكنْ لك غد، فكُنْ في غَدٍ كما كُنتَ في اليوم، وإنْ لم يكن لك غدٌ لم تندمْ على ما فرَّطت في اليوم) .

وعن قتادةَ بن أبي الجلد رحمه الله قال: (قرَأتُ في بعض الكتب: إنَّ «سوف» جُندٌ من جُندِ إبليس) .

١٦/ قلةُ الصبر: قليلُ الصبرِ ليس يعيشُ فذًا... ولا يرقى إلى تلك القصورِ...!

لأن العلم والصبر صنوان، فيحتاج الطالب إلى صبر على القراءة وصبر على الحفظ، وصبر على التحمل، وصبر على المكاره والجوع ، وصبر على الخذلان ، وفِي الحديث: (ومن يتصبر يصبّره الله) وقال غير واحد من الأئمة بارتباط العلم بالفقر ومتاعب الحياة ، حتى قال النضْر بن شُميل رحمه الله: (لا يصير الرجلُ عالما حتى يجوعَ وينسى جوعه).

وقد قيل للإمام عامر الشعبي رحمه الله : من أين لك هذا العلم كله ؟ قال:

(بنفي الاعتماد ، والسير في البلاد ، وصبر كصبر الحمار ، وبكورٍ كبكور الغراب) .

ولن يفلح التلامذة إذا قلّ صبرهم، وضاق صدرهم من حفظ محدود، أو فهم مقصود، أو سِفْر ممدود...؛ ومن قلّ صبره قل خيره وعطاؤه...؛ وقال قتادة رحمه الله: (الصبر من الإيمان بمنزلة اليدين من الجسد، من لم يكن صابرا على البلاء لم يكن شاكرا على النعماء ولو كان الصبر رجلا لكان كريما جميلا).

١٧- الانغماسُ الدنيوي: الموغلُ في أشغال صارفة، وتجارةٍ رابحة أو غير رابحة، فهو بالخيار بينهما، لعزة اجتماعهما إلا في النادر كما حصل لأبي بكر وأبي حنيفة وابن المبارك رحمهم الله. ولذلك المال ومتعلقاته لا تصلحُ لمن كان محبا للعلم، إلا بالتضحية بأحدهما ، والموازنة مطلوبة ...! وفي سُننِ الترمذي: (لكل أمةٍ فتنة وفتنةُ أمتي المال).

١٨- الغرورُ وعزةُ النفس : فيأبى أن يتعلمَ ويحمل الكتب، ويعودَ تلميذا سائلاً ، درءا للانتقاد، أو خوفا من التجهيل ، إذ

يعتقد أن ذلك إقلالٌ واستضعاف، ونسي أن السلفَ تعلموا بذلك التذلل والتأدب والتلطف،حتى بلغوا ما بلغوا من السيادة والمكانة ، وفي القرآن (قال هل أتّبعك على أن تُعلمنِ مما علِّمت رُشدا) سورة الكهف . وقال العتبي رحمه الله: (كان يقال : السؤدد ؛الصبر على الذل). ولابن عباس رضي الله عنه: (ذللتُ طالباً فعززتُ مطلوبا). وللشافعي رحمه الله: (لا يُدرَك العلمُ إلا بالصبر على الذل).

١٩- **استثقالُ جمعه:** أو العملُ به أحيانا، فيبتدئ في بعض المتون فتغشاه الصعوبة ، ويعجب من حفظ الأكابر،

ويندهش من طول المجلدات.. وكيف كُتبت أو جُمعت، ومن نقلها...؟!!! فيملّ ويستحسر، وقد يخشى تبعات العلوم، وكثرة المحفوظ، فيغريه الشيطان أو بعض الأصحاب بالعناية بأصول الإسلام، ودين العجائز، حتى يسلمَ الامتحان، ومرارةَ السؤال في القيامة....وقد قَالَ رجل لِأَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّٰه عنه: أُرِيدُ أَنْ أتعلم الْعِلْمَ، وَأَخَافُ أَنْ أُضَيِّعَهُ. فَقَالَ: (كَفَى بترك الْعِلْمِ إضَاعَةٌ).

٢٠- التذبذبُ المعرفي: وعدم الاستقرار على حال محددة، أو منهج متبع، أو طريق محفوظة ، والسبب الدخولُ بالبركة

والعفوية، أو السير بلا أشياخ ومشاورة، أو تبني جهالات وتخريفات ، والإصغاء لمن ليس له وعي ولا درايـة...! فنخلص إلى عدم إتقان، أو ترك وعزوف، بسبب طول الأمد بلا محصلة ومعتمد...!

وحاله كما قيل:

وَمُشَتَّتِ العَزَماتِ يُنفِقُ عُمرَهُ

حَيرانَ لا ظَفَرٌ وَلا إِخفاقُ

أَمَلٌ يَلوحُ اليَأسُ في أَثنائِهِ...

وَغِنى يشفُّ وراءه الإملاقُ...!

ولمداواة ذاك يَجِبُ مراجعة الشيوخ، ومطالعة الكتب الشارحة للمنهج العلمي الرصين، لحل العقدة، ودرء الأزمة ...!

٢١- الاستعجالُ الثمَري: من كسب الغنائم، وبلوغ المعالي، والظفر بالأهداف، وحيازة السعادة..! فيأمل كسبها من أول الطريق، ووسط المفازة، وإبان المشاق، ولَم يصبر كالأوائل، أو يتحمل كالأماجد، أو يتريث كالعباقر، والعلم الشرعي عمليةُ جهدٍ وصبر، واستعلاء واستحلاء، وقد قال ابن عطاء في حكمته الشهيرة (من لم تكن له بدايةٌ محرقة، لم تكن له نهايةٌ مشرقة).

تريدينَ لقيانَ المعالي رخيصةً

ولا بد دون الشَّهد من إبرالنحلِ..!

وقال الإمامُ السبكي رحمه الله :

(والعلم صَعبٌ لا ينال بالهوينى، وليسَت كلُّ الطباع تقبله؛ بل من النَّاس مَن يشتغل عمره ولا ينال منه شيئًا، ومن الناس من يُفتح عليه في مدةٍ يسيرة، وهو فَضل اللّٰه يؤتيه من يشاء).

٢٢- **التساهلُ السلوكي:** الذي يخدشُ الاستقامة، ويعكر التدين، ولا يضبط خلقا، أو يحفظ حكما والتزاما، قال تعالى: (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) سورة المائدة :٦٣.

ومع مرور الزمان يستسهلُ المعاصي،

ويباشر الذنوب، وهي تخترمه وهو لا يشعر، وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم: (إن العبدَ ليحرم الرزق بالذنب يصيبه).

ويقبحُ بالفتى فعلُ التّصابي ...وأقبحُ منه شيخٌ قد تفتى..!

ومن صور الحرمان ترك العلم أو العمل، والتقاعس فيه، والتجاسر على الذنب، ومحق بركته، عافانا الله وإياكم من ذلك.

٢٣- **الانشغالُ المعيشي:** إذ المالُ عصبُ الحياة وقوامُ الحركة ، وإذا نوزع بالعلم آثره أكثرُ الخلق، ولَم تزل هذه معضلةً

منذ القدم، قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله : (ليس في الدنيا أنفع للعلماء من جمع المال للاستغناء عن الناس، فإنه إذا ضم إلى العلم حيزَ الكمال، وإن جمهور العلماء شغلهم العلمُ عن الكسب، فاحتاجوا إلى ما لا بد منه، وقلّ الصبر، فدخلوا مداخلَ شانتهم، وإن تأولوا فيها، إلا أن غيرها كان أحسنَ لهم....) .

٢٤- **الجدلُ العلمي:** ومماراةُ السفهاء، وعدم توقير العلماء، ومحاججتهم، ومحبة التعليق على كل صغيرة وكبيرة، حتى يُطبعَ شخصُه بالجدل، وروحه

باللسن والسلط، مع ارتفاع الصوت، والتطاول، فيفقد البركة، وينفر الأحبةُ والنَاس عنه، قال تعالى:(ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) سورة الزخرف . قال صلى الله عليه وسلم : (من تعلّم العلم ليُباهي به العلماء، أو يُماري به السفهاء، أو يصرفَ به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم) . رواه ابن ماجه في السنن وغيره، وصححه الألباني .

٢٥- الثقافةُ السائدة: المكونة من ضخ إعلامي مشوش، أو تهريج إلكتروني، أو تقليعات سنابيين يهونون من عميق

العلم ومتينه ودقيقه، ويُشيعون مفاهيم مغلوطة في التكوين والتأسيس والمستقبل، فليس سرا الآن أن الثورةَ المعلوماتية يتخللها كثيرٌ من العبث والضياع وتفخيم المهين ، وتهوين الجيد والشريف، ودعاوى أن العلم هو المادي والتكنولوجي المحسوس، خلافا للشرعي...! فهو بزعمهم لا يبني أمما ولا يصنع حضارة...! فتجدُ بعضَ الفئات يفتخرون بالطبيب والمهندس ولا يفتخرون بالفقيه والمحدث، والمفسر الذي يجلّي كتاب اللّٰه للناس..! والأمة في بنيتها الحضارية تحتاج لكل

العلوم المساندة بدءاً بالشريعة وانتهاء بالدنيوية المحضة، ما دامت تسهم في البناء ، ولا تنفك عن فائدة ...! قال تعالى(فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) سورة محمد. وصح قوله عليه الصلاة والسلام عند ابن ماجة رحمه الله: (طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم) وخيرُ العلوم وأجلها العلم المقرب من الله، وهو علم الوحيين، وطريقة الربانيين . وثمة مجتمعاتٌ تقللُ من شأن المرأة وتعليمها ، وأنها لن تبلغ مبالغَ الرجال، فتسدّ عليها الأفق، وتوثق منها الحجب،

والإسلامُ قد حَضها على ذلك كله ما دامت الفتنة مأمونة، وفي النطاق الأخلاقي المنضبط، وقد قالت النساء لرسول الله عليه الصلاة والسلام: (غلبنا الرجال عليك فاجعل لنا من نفسك يوما...) كما في صحيح البخاري رحمه الله . وقالَتْ عائشةُ رضي الله عنها: (نِعمَ النساءُ نساءُ الأنصارِ لم يكنْ يَمنعُهنَّ الحياءُ أن يسألْنَ عنِ الدينِ وأن يتفقَّهنَ فيه).

٢٦/ الشوقُ بلا طوق: من الحفظ والجد، والتحصيل والكد، والأماني بلا معان، لأن منتهى ذلك الذهاب والأفول،

إذا لم يترجم إلى فعولٍ ونقول ، وصولات ومبادرات (فاستبقوا الخيرات) سورة البقرة والمائدة . وذاك الطوق يحمي الطالب من التفلت، ويعينه على الثبات، وهو يبتدئ معدنيا ومع الصدق والمجاهدة يستحيل ذهبيا..! وعليه لا يكفي مجرد التشوق بلا تعانق وتعلق، لأنه قد يضعف ويتلاشى، أو ينقلب ضدا بفعل المؤثرات الاجتماعية والبيئية ...!

٢٧/ العثراتُ المبدئية: كأن يُقبلَ على حلقة فلا ينجح، أو متنٍ فلا يرتقيه، أو كتابٍ فلا يهضمه، فيضيق ويترك العلم،

معتقدا صعوبته، أو أنه ليس مجاله وبابته، وينشد بعضهم مستدلا بقول الشاعر الزبيدي اليماني: «إذا لم تستطع شيئا فدعه...وجاوزه إلى ما تستطيعُ..!»

والصواب: المحاولة والتكرار وعدم اليأس، وأن الترك إنما يكون بعد ممارسات شتى، ومداخيل متفرقة، حتى يُكشف الطريق، ويجلو الضباب...!

وهذا من عيوب الشخصية البشرية ، ويرد عليها ودعايتها بقول المتنبي:

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا

كنقص القادرينَ على التمامِ..!

والسنة الغراء يقولِ مسديها عليه الصلاةُ والسلام:(إن اللّه يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه). رواه البيهقي في الشعب بسندٍ جيد .

٢٨/ **الخللُ المنهجي :** كاعتماد البرامج الخاطئة، والبدء بالمطولات، والمتون الصعبة، وسوء التنظيم، والشيوخ المبتدعة، والوصايا الهشة، المنبثقة من غير الوعاة والمتخصصين، وتكلم فئات في غير مجالاتهم، نهجاً وحكمةً وتوجيهاً..! وقد قال الحكماء :(من تكلم في غير فنِّه أتى بالعجائب)...! مما ينتج عنه

النكوصُ، أو غـرسُ مفاهيم مغلوطة، أو عدم دراية منتهية بالضياع والحيرة.

والعلم إنما يؤخذ من أهله وأوليائه البارعين، وليس كل من هبّ ودبّ، أو تزعم واستشرف ..! وربنا مولانا وهادينا، هو نعم المولى ونعم النصير....!

والحمدُ لله رب العالمين .